السمات العامة للسكان فى شرق السودان

دكتور عبد الله على حامد العبادى *

يشمل هذا البحث الدراسة السكانية لمنطقة شرق السودان ، وتتضمن أصل السكان وصفاتهم السلالية والتكوين القبلى ، والهجرات الداخلية وحركة الانتقال والترحال التى يمارسها السكان ، ثم التعرف على عدد السكان ونموهم وتوزيعهم وكثافتهم ، والنشاط الاقتصادى من حيث المهن والحرف الرئيسية . ويتعرض للتعرف على المستويات التعليمية والصحية للسكان ، وإلى مستوى الدخول الاقتصادية والحياة المعيشية ، وإبراز التباين والتفاوت الحضارى .

أولا : أصول السكان

يتألف السكان من مجموعتين رئيسيتين هما البجه والعرب ، إلى جانب أقليات سكانية صغيرة ومتنوعة . ويمتد وطن البجه فى جميع مناطق شمال شرق السودان ، ويمثلون الكتلة الرئيسية البشرية على إمتداد هذه المنطقة . بينما تشمل أرض البطانه معظم القبائل العربية والاقليات السكانية الأخرى . ويظهر من هذا أن قبائل البجه المختلفة هى التى تسود معظم منطقة شرق السودان .

ويعتبر البجه أول من إستوطن هذا الاقليم منذ أقدم العصور ، وهى القبائل الحامية القديمة التى تمتد أوطانها الحالية على إمتداد هذه المنطقة من الحدود المصرية شمالا ، وحتى الأجزاء الشمالية من الهضبة الحبشية جنوبا ، ومن البحر الأحمر فى الشرق إلى نهر النيل ورافده نهر العطبره من ناحية الغرب .

(*) وزارة الحكومة المحلية وتنمية المجتمع – السودان

وتبلغ مساحة الوطن البيجاوى قرابة ١٦٥,٠٠٠ كيلومتر مربع ، تسيطر عليها الصفات الصحراوية وشبه الصحراوية والمناطق الجبلية المرتفعة ، وأن هذه المنطقة كانت من الأبواب الرئيسية التى دخلت منها الثقافة العربية إلى السودان ، إذ كانت بمثابة المستودع الذى أمد السودان بعدد من القبائل العربية المنتشرة فى أراضيه ، حيث أن مصر كانت المصدر الأساسى لهذه الهجرات العربية إلى السودان عن طريق أوطان البجه (١) .

ورغم أن أراضى البجه كانت مسرحا لحركة القبائل العربية ، إلا أن الاختلا بينهما كان محدودا . ومع ذلك فان كل قبائل البجه تفضل الانتساب إلى القبائل العربية ، إذ كان لهم الفضل فى نشر الدين الإسلامى بينهم ، ولكنها فى المقام الأول هى من القبائل الحامية التى هاجرت من الجزيرة العربية وجاءت إلى هذه المنطقة عبر باب المندب . وقد عاش البجه حياة البداوة والترحال مع قطعانهم من الابل ، وذلك ما فرضته ظروف البيئة الطبيعية القاسية التى تسود فى جزئها الشمالى الصفات الصحراوية ، كما أن إقتناء الابل كان يمثل ثورة فى حياة البجه ، إذ مكنهم ذلك من اجتياز المسافات الشاسعة ومن تعمير كل هذه المنطقة (٢) .

ورغم أن قبائل البجه تنتشر على إمتداد الأراضى المطلة على البحر الأحمر إلا أنها قد استدبرت البحر واستقبلت اليابس . وهى الشعب الوحيد فى تاريخ العالم الذى تقع أراضيه بالقرب من البحار ولا يستغل أو يستخدم البحر وثرواته ، أو يساهم فى خدمة الملاحة البحرية والتجارة . فلم يقوم البجه ببناء القوارب التجارية كما كانت الأمم البحرية التى عاصرتهم . فالبحر وأمواجه لم يستهو السكان على الاطلاق ، بل أن الثروة البحرية الغذائية لم تغر البجه . بل اكتفوا بسفينة الصحراء ، واستعاضوا عن القوارب

---

(١) مصطفى محمد سعد (١٩٥٩) « البجة والعرب فى العصور الوسطى » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٥٠ ، ٥٩ .

(٢) محمد عوض محمد (١٩٥١) السودان الشمالى سكانه وقبائله ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ص ٣٠

بالجمال ، وعاشوا أمة برية طيلة حياتهم (١) . ومن المعتقد أن قسوة البيئة الطبيعية كانت من أسباب ميولهم للانطواء والعزلة وعدم ترحيبهم بالسكان الأجانب . بل ويرجع نفورهم من البحر لأنه كان يحمل إليهم الجاليات الأجنبية ، وقد قامت الجماعات الخارجية بخلق الموانى ورعاية التجارة وشئون الملاحة وخدمة الطرق والمواصلات (٢) .

ويضم السكان البجه أربعة أقسام رئيسية ، يطلق على كل منها اسم قبيلة وهم : البشاريون والأمرار والهدندوه والبنو عامر ، والتى بدورها تنقسم إلى العديد من القبائل الصغيرة .

ويحتل البشاريون المنطقة الشمالية من تلك البيئة الصخرية الجدبة ومعظم الاقليم الصحراوى الشمالى ، وتليهم فى الجنوب قبيلة الأمرار يمتدون فى إتجاه من الجنوب الغربى لبلدة مسمار على خط السكك الحديدية (عطبره — بورت سودان) إلى الشمال الشرقى فى إتجاه بورت سودان على خط الساحل . ثم يأتى جنوبا الهدندوه أكثر البجه فى السودان عددا وأهمية ، ويشغلون منطقة دلتا القاش والمناطق الشرقية لنهر العطبرة . بينما يقع البنو عامر فى الجنوب الشرقى من أوطان البجه وينتشرون ما بين طوكر فى الشمال متوغلين فى داخل أراضى اثيوبيا (أريتريا) فى الجنوب ، وهناك أقليات صغيرة من البجه مثل الأشراف والأرتيقة والكميلاب والحلنقه تختلط مع تلك القبائل الكبرى (شكل ١) .

(١) البشاريون :—

يحتل البشاريون أرضا واسعة فى النصف الشمالى من وطن البجه ، يمتد

---

(١) محمد صالح ضراو (١٩٦٥) ، تاريخ السودان — البحر الأحمر واقليم البجه مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٩ .

(٢) صلاح الدين الشامى (١٩٥٦) ، التوجيه البحرى للسودان ، أثرة على طرق التجارة والمواصلاب ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ص ص ٨٠ ، ٨١

داخل الحدود المصرية شمالا ، وينتشرون على إمتداد الجنوب إلى نهر العطبره وأراض البطانة الشمالية ، وبذلك يشغلون مساحة تمتد ما بين دائرتى العرض ١٦ ، ٢٢ شمالا . وقد كانت النشأة الأولى للعائلة التى إنحدر منها البشاريون فى منطقة جبل علبه حيث اتسعت بعد ذلك مساحة الأراضى التى ضمت القبيلة كلها .

وتكون أراضى البشاريون حوالى ٤٥ ٪ من مساحة وطن البجه وهى منطقة متنوعة المناخ والتضاريس ، إذ تنقسم إلى أربعة أقاليم صغيرة هى السهل الساحلى ، والمنحدرات الشرقية لجبال البحر الأحمر (الجوينب) ، والمنحدرات الغربية لجبال البحر الأحمر الشمالية (العتباى) ، ثم الاقليم الجنوبى من العتباى إلى الشرق من نهر العطبره (التماراب) ، بينما تمتد جنوبا اقليم نهر العطبره وهو أصغر الأقاليم الأربعة مساحة ، ويقع فى الضفة الغربية للعطبره على شكل مثلث قاعدته نهر العطبره ورأسه داخل البطانه عند آبار أم شديدة .

ويعيش فى هذه المنطقة المتسعة قبيلة البشاريون التى تنقسم إلى بشاريو « أم على » وبشاريو « أم ناجى » . ويشغل بشاريو أم على القسم الشمالى على طول المنحدرات الشرقية إلى البحر الأحمر حتى الحدود المصرية السودانية ، بينما يحتل بشاريو أم ناجى مناطق العتباى والتماراب فى أقصى شمال البطانة .

(٢) الأمرار :—

تقع أراضى الأمرار إلى الجنوب من البشاريون ، وتمتد ما بين دائرتى العرض ٢١ شمالا إلى الغرب من ميناء بورت سودان جنوبا . وقد توسعوا جنوبا حتى احتلوا الأراضى التى تقع إلى الغرب من بلدة مسمار . وقد إتخذ هذا التوسع مساحة ضيقة تمتد جنوبا ما بين دائرتى العرض ١٨ ، ١٩ شمالا . ولكن معظم أراضى الأمرار الواسعة تقع محصورة إلى الشمال من

دائرة العرض ١٩ وجنوب ٢١ شمالا ، ولا يتجاوز عرض المنطقة إلى الشرق أكثر من ١٢٠ كيلومتر فى الجزء الشمالى .

ويشغل الأمرار هذا الأقليم المتضرس الشديد الوعورة والأودية الضيقة فى منطقة البحر الأحمر ، وتشبه هذه المنطقة الجزء الشرقى من أقليم البشارين فى السهل الساحلى وفى الجانب الغربى من المنحدرات . أى أن قبيلة الأمرار تحتل أجزاء من أقليم السهل الساحلى والمنحدرات الشرقية والغربية لتلال البحر الأحمر ، والتى تضم عشرات من الوديان الجافه على المنحدرات أهمها وادى خور أربعات . وتتلقى أراضيهم الأمطار الشتوية والصيفية التى تكفل لقطعانهم فرص الحياة ، وزراعة محدودة فى قيعان هذه الأودية .

(٣) الهدندوه :—

يمتد وطن الهدندوه فيما بين دائرتى العرض ١٥ ، ١٩ شمالا ، بمسافة تزيد على ٤٢٠ كيلومتر من الشمال إلى الجنوب ، وتصل عرض هذه المساحة من الشرق إلى الغرب إلى حوالى ١٥٠ كيلومتر ، ولكن تضيق فى مساحتها جنوبا على شكل مثلث فيما بين الحدود مع أثيوبيا ونهر العطبره . كما وتشرف على مساحة تبلغ ٤٢ كيلومتر من ساحل البحر الأحمر السودانى .

وتصل مساحة وطن الهدندوه إلى ١٨ ٪ من مساحة وطن البجه ، تمتد حدودها الشمالية من شمال سواكن فى إتجاه الغرب عبر الخط الحديدى شمال سنكات ، وتتجه الحدود إلى الجنوب لكى تخترق خط السكك الحديدية مرة أخرى غربى مسمار ، حيث يمتد نحو الجنوب إلى أن تتصل بنهر العطبره عند قرية قوزرجب ، ثم تسير مع نهر العطبره حتى خشم القربة فى إتجاه جنوبى حتى الحدود السودانية الأثيوبية .

ولهذا فقد إحتل الهدندوه جزءا من الضفة الشرقية لنهر العطبره تمتد

إلى ١٥٠ كيلومتر ، وأصبح خور القاش يجرى فى وطنهم كما أنهم يجاورون الأطراف الشمالية لهضبة الحبشة .

وتعتبر قبيلة الهدندوه أحدث الوحدات البيجاوية ظهورا ، وأوسعها شهرة ، وأكثرها عددا ، ويعنى اسم الهدندوه باللغة البيجاوية (شعب الأسد) (١) . وهم أصحاب قطعان من الدرجة الأولى . ويمثل الجمل أهم الحيوانات ، كما يزداد إقتناء الأبقار فى الأجزاء الجنوبية حيث إزدياد كمية الأمطار السنوية .

ويمكن تقسيم وطن الهدندوه إلى مرتفعات ومنخفضات . فالمرتفعات لا تتصل مع بعضها بل تتوزع فى المنطقة : أولها مرتفعات البحر الأحمر ، وثانيها الكتلة الجبلية المستطيلة المحصورة بين خورى بركه ولانجب ، أما الكتلة الثالثة فهى التى تحيط بالحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية لأوطان الهدندوه والتى تلاصق الحدود الأثيوبية . أما المنخفضات فتشمل السهل الساحلى للبحر الأحمر . والفجوة التى يجرى فيها وادى لانجب ، ثم الامتداد السهلى الجنوبى لمنطقة العتباى .

(٤) البنو عامر :—

يحتل البنو عامر الأطراف الجنوبية الشرقية من أقليم البجه فى شكل مثلث ، يمثل ساحل البحر الأحمر أحد أضلاعه ويمتد من حدود أثيوبيا إلى جنوب سواكن بحوالى ١٠ كيلومتر . والضلع الثانى يبدأ من الساحل فى الإتجاه الشمالى الجنوبى إلى أن يلتقى بالحدود الأثيوبية . والضلع الثالث يسير مع الحدود الأثيوبية السودانية المتعرجة فى هذا الاقليم . وتشكل مجموع هذه المساحة ٤,٥ ٪ من مساحة وطن البجه . وينتشر البنو عامر حول خور بركه

— Owen T.H. (1937), «The Hadendowa», SNR, Vol. XX, P. 185.

وروافده ، وهو المحور الذى يستقطب بلاد البنو عامر فى أثيوبيا والسودان . إذ أن أوطان البنو عامر فى أثيوبيا (أريتريا) يمثل الضعف بالنسبة لعددهم فى السودان (١) . وبذلك يختلف البنو عامر عن سائر قبائل البجه بأن أراضيهم تتوزع بين السودان وأثيوبيا .

ويمثل السهل الساحلى أهم المظاهر التضاريسية فى المنطقة نظرا لاتساعه فى وطن البنو عامر أكثر من أى جزء آخر . ويكون السهل فى الشمال واسعاً خاصة عند مدينة طوكر ثم يضيق كلما إتجهنا إلى حدود أثيوبيا . وتستقبل جميع هذه المنطقة تقريباً الأمطار الشتوية .

وهناك العديد من الفروع داخل هذه الأقسام القبلية الأربع : البشارين والأمرار والهدندوه والبنى عامر . بل وتعتبر نفسها من ضمن القبائل الكبرى للبجه . إذ نجد أن قبيلة الهدندوه مثلا عند منطقة القاش تنقسم إلى نحو عشرين فرعا . كما يكتسب بعضها شهرته من قيادته القبلية ودورهم فى حياة هذه الفروع من قبائل البجه (٢) .

وتعيش بعض القبائل البيجاوية الصغيرة الأخرى فى هذه المنطقة ، وأهمها قبائل الحلنقة والأرتيقة فى وطن الهدندوه ، والحباب فى أراضى البنى عامر . وهناك بعض القبائل العربية المجاورة للبجه قد اعتبرها البعض من القبائل البيجاوية ، مثل قبيلة العبابده التى تجاور البشارين فى الحدود الشمالية مع مصر (٣) . بل قد صنفت من ضمن القبائل الأولى لأقسام البجه . كما وقد أضيفت قبائل الشكرية فى البطانه إلى العبابده على إعتبار أنهما معا

---

(١) محمد عوض محمد ١٩٥١) ، ص ١٢٦ .

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع الى

— Paul A. (1954), A History of The Beja Tribes of the Sudan, London.

— Seligman B. (1930), «Note on The History and Present Condition of Beni Amen», SNR, Vol. XIII, U. 85.

من قبائل البجه (١) . وليس هذا صحيحا لأن هذه القبائل عربية نزحت الى السودان . وكل ما فى الأمر أنهم قد جاوروا البجه بعد هجرتهم من الجزيرة العربية (٢) .

ويعتبر الرشايدة من أهم القبائل العربية التى تعيش فى وسط قبائل البجه ، ويتبعثرون فى منطقة طوكر حتى الحدود الأثيوبية ، كما إنتقل بعضهم إلى أقليم نهر العطبره غربا وفى أجزاء متفرقة من وطن البجه .

ويلاحظ أن حياة البجه قد إرتبطت برعى الابل فى الشمال و باقتناء بعض الماعز والأغنام والأبقار فى المناطق الوسطى والجنوبية . وأن جميعهم يعيشون حياة البداوه والرعى التقليدى . كما أن هذه القبائل تشارك فى أقتسام ساحل البحر الأحمر والسهل الساحلى ومناطق الظهير جميعها .

وتمثل القبائل العربية فى المنطقة معظم سكان أرض البطانة ، وقد وفدت إلى هذا الاقليم منذ القرن الثامن الميلادى مع بداية الهجرات الأولى إلى السودان . ويشاركهم فى هذا الاقليم النوبيون وبشارى أم ناجى وهما من الأصل الحامى . وبعض الجماعات الزنجية والمتزنجة التى هاجرت إليها من غرب السودان ودول غرب افريقيا . هذا بالإضافة إلى السكان الأريتريين المهاجرين من أثيوبيا .

وتعتبر قبيلة الشكرية من أهم القبائل العربية انتشارا وعددا فى أقليم لبطانة . وتنقسم إلى مجموعات لكل منها قطاع خاص من أرض البطانة ؛ وتشغل هذه القبيلة كل المناطق الواقعة وسط أرض البطانه ، تشاركها كذلك قبائل اللحويين فى الشرق ، والبطاحين فى الغرب ، والضبابنة فى الجنوب ،

---

(١) نعوم شقير (١٩٦٧) ، جغرافيـة وتاريخ السودان ، دار الثقافة بيروت ص ٥٩ .

(٢) محمد صالح ضرار (١٩٦٥) ، ص ١٩ .

والكواهلة فى الجنوب الشرقى من البطانة . بينما نجد فى جنوب أرض البطانه بعض قبائل الفور التى نزحت إلى هذه المنطقة أثناء الحركة المهدية فى غزوها لشرقى السودان بعد عام ١٨٨٢ ، واستقروا بعد ذلك فى منطقة جنوب القضارف .

أما الجماعات المهاجرة من غرب إفريقيا ، والذين يعرفون محليا باسم (الفلاته) ، فان معظمهم ينتمى إلى قبائل الهوسا والفولا من نيجريا ، والبرقو والبرنو من تشاد . ويشغل هؤلاء السكان معظم المناطق المطلة على نهر الرهد ، وخاصة فيما حول قلع النحل والمفازه شمالا وحتى قرية الطوب الأحمر جنوبا . ويتركزون كذلك حول نهر العطبره من قرية القلابات عند الحدود مع أثيوبيا وحتى قرية الشواك ، وفى معظم المنطقة الممتدة من نهر العطبره فى الجنوب ومدينة القضارف وقرية دوكه . كما ينتشرون فى مناطق عديدة من أجزاء شرقى السودان وخاصة مناطق الإنتاج الزراعى فى دلتا القاش وبركه ، وفى مدن بورت سودان وكسلا والقضارف .

ومن أهم العوامل التى ساعدت على إنتشارهم بهذه الصورة فى أقليم البطانه ، هو أن جيوش المهدية كانت تضم فى معظمها القبائل الغربية ، كما أن التوسع فى الزراعة المطرية فى جنوب البطانة قد ساعد على استقرارهم ، وأصبحوا يمثلون العمود الفقرى للقوى العاملة فى أرض البطانه ، كما كانوا من أهم العوامل التى أدت إلى تعمير أجزاء كبيرة من أرض البطانة الجنوبية حديثاً (١) .

أما الهجرات السكانية التوطينية الحديثة فى أرض البطانة ، فتشمل النوبيون من أهالى وادى حلفا الذين تم تهجيرهم بواسطة الدولة إلى منطقة

---

(١) زين الدين عبد المقصود (١٩٧٠) ، اقليم البطانة — دراسة فى أثر الكيان الطبيعى والبشرى فى استخدام الأرض ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ص ١٧٤ — ١٧٥ .

خشم القربة على ضفة العطبره الغربية فى البطانة منذ عام ١٩٦٤ . هذا إلى جانب المهاجرين اللاجئين من الاريتريين ، الذين وفدوا إلى شرق السوادن منذ عام ١٩٦٧ ، وتم توطينهم فى منطقة أم سقطة وما حولها فى جنوب البطانة فى السنوات الأخيرة منذ عام ١٩٦٩ ، ومعظمهم من قبيلة البنى عامر الاريترية ، مع قبائل الباريا والماريا .

ويتضح من هذا أن إقليم البطانة يضم خليطا متنوعا من السكان ، يكاد تتمثل فيه كل الهجرات السكانية فى السودان ، حيث لا نجد هناك اقليما آخر يتنوع ويتباين فيه التركيب السكانى أكثر من أقليم البطانة .

ثانياً : الهجرات الداخلية

أدت الظروف الطبيعية فى شرق السودان والتى فرضت وجود مناطق واسعة من الصحراء وشبه الصحراء والمناطق الجبلية الصخرية مع قلة الأمطار وندرتها خاصة فى الأجزاء الشمالية ، إلى رحلات سكان البدو من مكان إلى آخر جريا وراء الكلا ومصادر المياه . فموارد المياه والبحث عن المراعى هى من الأسباب الرئيسية وراء هجرة القبائل الرعوية ، خاصة إذا علمنا بأن معظم سكان شرق السودان هم من القبائل الرعوية . ففى عام ١٩٥٦ إتضح أن نسبة السكان الرحل بلغت ٥٣ ٪ من سكان المنطقة ، ولذا فهى من أكثر أقاليم السودان بداوة .

(١) الهجرة الداخلية لقبائل البجة : —

تمارس كلا من القبائل البيجاوية والعربية هجرات فصلية منتظمة تخضع لشهور المطر والجفاف ، ولكنها فى نفس الوقت هجرات محدودة إذا ما قورنت بهجرات القبائل الرعوية الأخرى فى السودان . ويفضل كل قبائل البجه — وهم فى مجموعات صغيرة — البقاء بالقرب من أبارهم ،

كما أن تحركاتهم محدودة بمناطق نصف قطرية مناسبة (١) .

ويعتبر البجه من الشعوب الرعوية ، بل أن المجتمع نفسه يقوم على حياة الرعى ، وتمثل الابل أهم حيوانات الرعى لديهم . ففى منطقة شمال شرق السودان نجد أن القبائل تتم تحركاتها فى نطاق ضيق ، بل أنهم يعيشون فى شبه استقرار جغرافى . إذ أن معظم القبائل البيجاوية بفروعها المختلفة يتركز كل منها حول مصادر مياه معينة . ومن هذه النقاط الثابتة يحدث الانتشار خاصة فى خلال شهور الأمطار ذات الكميات القليلة . ويكون الانتشار فى جميع الإتجاهات ، إذ يهدف إلى البحث عن موارد غذائية وافية . ولكن رغم كثرة هذه الهجرات فانها قصيرة المدى ، سرعان ما يعود البجه إلى مواطنهم الأولى حول مصادر المياه فى مراعيهم الأصلية (٢) .

وتتميز منطقة شمال شرق السودان بوجود نظامين للأمطار ، هى الأمطار الشتوية التى تستقبلها السهول الساحلية للبحر الأحمر ، والأمطار الصيفية التى تسود جميع مناطق البجه الأخرى ، والممتدة ما بين البحر الأحمر والنيل وهضبة الحبشة . ولهذا تتنوع المياه فى المواسم المختلفة مما يؤدى إلى الترحال والتنقل والاستفادة من هذه المياه . وبذلك تتأثر رحلات الرعاة فى هذه المناطق بين السهول والجبال بامكانية توفر المياه وانتشار المراعى . فهم يهبطون إلى السهل الساحلى فى الشتاء ، ثم يصعدون إلى الجبال ، أو يتجهون غربا حيث الحشائش التى يسببها المطر الصيفى ، وبذلك فان للبجه رحلتين هما رحلتى الشتاء والصيف (٣) .

— Lebon h. (1965), Land Use in the Sudan, London, p. 113.

(٢) شريف محمد شريف (١٩٧٢) ، « التحركات السكانية ومناطق الاستقطاب بالسودان » ، أبحاث مؤتمر الانسان والبيئة والتنمية ، الخرطوم ، ص ٥ ، ٦٠

(٣) عبد العزيز كامل (١٩٧٢) دراسات فى الجغرافية البشرية للسودان دار المعارف القاهرة ص ٤٥ .

ويعيش البشا ريون فى أكثر مناطق البجه جفافا حيث ندرة الأمطار ، كما أن أو طانهم بعيدة عن نطاق الأمطار الشتوية ، لذلك يمارسون نمطا من البداوه ، ويتحركون فى هجرات فصلية إذ أن الابل هو الحيوان الرئيسى فى قطعانهم ، ومن هنا فان حركاتهم طويلة نحو أبار المياه فى مناطقهم ، كما أن معظم وأهم جموعهم تتجه إلى ضفاف نهر العطبره الشمالية فى شهور الصيف (شكل ٢) .

أما قبيلة الأمرار فان أوطانها تتلقى المطر الشتوى والصيفى ما ، وتضم العشرات من الوديان الجافة ، وتكثر الأعشاب مما يعطى قطعانهم من الأبل المزيد من المراعى . ويلجأ الأمرار إلى زراعة بعض الحبوب على الأودية وأهمها خور أربعات . لذا يعتبر الأمرار أقل ترحالا عن غيرهم من قبائل البجه الأخرى . فهم ينزلون إلى السهول الساحلية فى نوفمبر وديسمبر عقب هطول الأمطار ، ثم يعودون إلى سفوح الجبال فى مارس وإلى المرتفعات فى ابريل ومايو . وفى الصيف ينزحون إلى السهول الغربية بعد المطر الصيفى ويظلون هناك حتى نوفمبر ، ثم يرجعون إلى السفوح والمنحدرات ويظلون فيها حتى شهر مارس أو ابريل ، ثم يعودون إلى المرتفعات بعد ذلك .

وتمارس قبيلة الهدندوه رحلة سنوية تنقسم إلى ثلاث مواسم يتنقلون فيها ما بين دلتا القاش ونهر العطبرة والأراضى المرتفعة بينها . ففى شهور الأمطار يتركزون على الأرض المرتفعة (السبوت) ويعودون فى الخريف إلى أرض الدلتا حيث المراعى الوفيرة حول المناطق الزراعية فى شهر نوفمبر . وفى يناير تبدأ هجرة معظم الهدندوه إلى الجنوب نحو نهر العطبره ويمضون الصيف هناك . كما ترعى حيواناتهم على أنهار بحر السلام وستيت من روافد العطبره ويظلون هناك حتى شهر يونيه . ويعودون إلى الأراضى المرتفعة مع بداية بوادر شهور الخريف ، وبذلك تكتمل الدورة السنوية (١) .

---

(١) عبد العزيز كامل (١٩٧٢) ، ص ص ٧٦ ، ٧٩ .

أى أن الهدندوه يقومون برحلات فصلية ما بين بطون الأودية والمرتفعات من ناحية ومن شمال أوطانهم إلى جنوبها من ناحية أخرى .

والهدندوه بوجه عام هم أقرب قبائل البجه للاستقرار ، إذ أن بعضهم قد إستوطن القرى فى دلتا القاش ويمارس الزراعة المنتظمة ، ولكن مازال حوالى أكثر من ٧٠ ٪ من أفراد الهدندوه يرحلون وراء المياه والكلا .

وتمتاز رحلات قبيلة البنى عامر بأنها طويلة تمتد عبر الحدود الأثيوبية السودانية . وتبدأ هجراتهم فى الشتاء إلى السهول الساحلية والمنحدرات الشرقية . ويتجهون من طوكر إلى عقيق وتصل أحيانا إلى ميناء مصوع فى أثيوبيا ، وبعضهم يتجه بعيدا إلى أعالى خور القاش ونهر ستيت فى أثيوبيا ، لذا نجد أن معظم البنى عامر خارج السودان فى هذه الفترة (١) . وفى شهور الصيف يتجهون إلى المنحدرات الغربية للبحر الأحمر . ونظرا لموقع وطنهم فى أقصى الجنوب الشرقى للوطن البيجاوى وعلى أطراف الهضبة الحبشية ، فان الظروف الطبيعية تساعدهم على إقتناء الضأن والأبقار والماعز ، وأن بعضهم يقوم بالزراعة على دلتا طوكر .

ويلاحظ على الهجرات الفصلية لقبائل البجه أنها تكون فى حركات شمالية شرقية فى شهور الشتاء وجنوبية غربية فى شهور الصيف ، وأن بعضهم تستغرق رحلته تسعة أشهر فى العام يرتبطون فيها بالأودية والابار مما يؤدى إلى النزاع بين القبائل حول حدود أوطانهم . كما أنهم يرتحلون فى جماعات صغيرة ، وأن بعضهم أصبح نصف رحل إذ يعتمدون على الزراعة الموسمية فى الوديان والأخوار التى تغمرها الفيضانات كنهر العطبره ، ومناطق شمال وأواسط البجه ومنطقة طوكر إلى جانب تربية الماشية .

وهناك أيضاً القبائل نصف المستقرة التى حظيت بنوع من الاستقرار

---

(١) — Lebon J. 1965), P. 114.

وتتخذ إسلوب الحياة الريفية فى الزراعة وتربية الماشية والضأن والأبقار مثل بعض أفراد الهدندوه والبنى عامر فى دلتاوات القاش وطوكر .

ويظهر التنوع فى التحركات الفصلية فى منطقة شمال شرق السودان من هجرات الرعاة الموسمية على امتداد المنطقة ، وإلى تدفق العمال من الأمرار والبشارين للعمل فى ميناء بورت سودان ، أو اتجاه أفراد الهدندوه للعمل فى مشروع القاش ، أو ميول بعض أفراد البنى عامر للعمل الزراعى فى دلتا طوكر .

ويمثل شمال شرق السودان البداوه بكل معناها الحقيقى من عدم الاستقرار والتحركات والهجرات الفصلية للسكان .

ثانياً : الهجرة الداخلية للقبائل العربية

أما فى أقليم البطانة فان القبائل العربية من الشكرية واللحويين والبطاحين والبشارين ، تمارس حياة التنقل والترحال فى المواسم المختلفة ، إذ أن كل هذه القبائل من البدو الرحل أصحاب (الابل والأغنام) . والبشارين على الضفة الغربية للعطبره يهاجرون إلى مسافات قصيرة من نهر العطبره فى خلال فصل الأمطار . والبطاحين فى الشمال الغربى من البطانه يتحركون فى اتجاهات معينة بناء على مواسم السنة ، ففى فصل المطر يتجهون إلى شمال شرق البطانه من أبو دليق ورأس وادى الهوارى ، أما فى الفصل الجاف يرحلون إلى نهر النيل حول مدينة شندى فى شهر أكتوبر إلى مايو .

أما قبائل الشكرية والقبائل العربية الأخرى فى غرب وجنوب غرب البطانة فهم شبه رحل يقيمون على نهر الرهد ، ولكنهم يهاجرون شمالا إلى وسط البطانة خلال فصل الأمطار وذلك هروبا من الحشرات الضارة بحيواناتهم . ويقوم الشكرية واللحديين فى وسط البطانة وشرقها بهجرات سنوية بين الشمال والجنوب . ففى شهور الصيف تؤخذ قطعان الرعى إلى

نهر الرهد بالقرب من المغازه أو إلى العطبره بالقرب من الشواك . أما فى شهور الخريف فيرجعون حتى شمال دائرة العرض ١٦ وذلك على حسب جودة المراعى (١) . وتمثل وسط البطانة منطقة النمو العشبى الجيد الخالى من الحشرات فى شهور الخريف ، مما جعلها تلائم رعى الحيوان . ولذا فان معظم القبائل فى البطانه تتجه إلى هذه المنطقة فى تلك الفترة من السنة ، والتى يطلق عليها اسم « منطقة الرعى العام » .

وبوجه عام فان القبائل تنتشر على جوانب البطانة فى فترة الجفاف ، وتتجمع فى جنوب البطانة مع بداية الأمطار (يونيه) ويتحركوا شمالا فى فترة النشوق عند منتصف يوليه ، ثم يتجمعوا فى وسط البطانة فى شهور الأمطار وبذلك تكتمل دورتهم السنوية .

ثالثاً : نمو السكان وتوزيعهم وكثافتهم

يبلغ عدد سكان شرق السودان حسب تعداد ٥٥ ـ ١٩٥٦ نحو ٩٤١ ألف نسمة ، وهذه تعادل ٩,٢ ٪ من سكان السودان . ويقدر عدد سكان المنطقة لعام ١٩٧٢ بحوالى ١,٧١٢,٠٠٠ نسمة ، أى نسبة ١٠,٦ ٪ من المجموع الكلى لسكان السودان البالغ عددهم ١٦,٠٨٧,٠٠٠ نسمة (١) . أى أن عدد السكان قد زاد ٧٧١,٠٠٠ نسمة فى خلال السبعة عشر عاما الماضية ، بمعدل زيادة سنوية قدرها ٤٥,٣٥٠ نسمة تقريبا .

ويرتفع سكان الحضر إلى ١٦ ٪ فى شرق السودان فى إحصاء عام ٥٥ ـ ١٩٥٦ ، وهى تساوى ضعف المتوسط العام لسكان المدن فى السودان (٨ ٪) فى تلك الفترة . وقد إتضح فى إحصاء السكان والسكن لعام

---

(١) Barbour K. M. (1961), The Republic of The Sudan — A Regional geography, London, P. 218.

(١) وزارة التخطيط – الخرطوم (١٩٧٠) ، الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للسودان (١٩٧٠ – ٧١ / ١٩٧٤ / ٧٥) المجلد الثانى ، الجزء الأول .

٦٥ ـ ١٩٦٦ أى بعد عشرة أعوام أن سكان المدن قد وصل إلى ٢٢ ٪ من السكان الكلى فى المنطقة وهو أعلى معدل على الاطلاق لسكان المدن فى السودان باستثناء مديرية الخرطوم . أى أن ٧٨ ٪ من سكان المنطقة يعيشون خارج المدن . وإذا علمنا بأن ٥٣ ٪ من السكان فى شرق السودان من البدو الرحل اتضح لنا أن ٢٥ ٪ من السكان هم الذين يستقرون فى قرى دائمة بمعنى أن ٤٧ ٪ من السكان هم الذين يسكنون المدن والقرى .

ويقدر عدد سكان أقليم شمال شرقى السودان الذى يضم كل قبائل البجه فى المنطقة لعام ١٩٧٢ بحوالى مليون نسمة بينما يصل سكان اقليم البطانة إلى ٧٠٠,٠٠٠ نسمة ، كما أنه يضم ٥٠,٠٠٠ نسمة من النوبيين ، ٢٠,٠٠٠ نسمة من اللاجئين الاريتريين . بينما نجد فى كل منطقة شرقى السودان أن سكان غرب افريقيا (الفلانه) يمثلون أكثر من ١٠ ٪ من مجموع السكان الكلى . وتبلغ النسبة المئوية لهذه العناصر الغربية المتوطنة فى شرقى السودان أكثر من ٣٠ ٪ فى جنوب البطانة حيث تقع مراكزهم الكبرى ، بينما تتراوح النسبة بين ٢٠ ٪ ، ٣٠ ٪ فى وسط البطانة ، وتقل عن ١٠ ٪ فى اقليم شمال شرقى السودان (١) . ويشكلون ٣٠ ٪ من سكان المدن الكبرى ، كما أن نسبتهم قد وصلت فى دلتا القاش قبل عشرين عاما إلى ما يعادل ٣٥ ٪ من السكان (٢) .

ونسبة النوع فى شرقى السودان تبلغ ٥٣,٤ ٪ للذكور ، ٤٦,٦ ٪ للأناث حسب إحصاء ٥٥ ـ ١٩٥٦ . وهى بذلك تزيد عن المتوسط العام لنسبة النوع فى مديريات السودان المختلفة والتى تمثل ٥٠,٥ ٪ للذكور ، ٤٩,٥

---

(١) شريف محمد شريف (١٩٦٦) (توطن العناصر الافريقية الغربية بالسودان) حوليات كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ٢٤ ص١٣٨ .

(٢) عبدالعزيز كامل (١٩٥٧) دلتا القاش دراسة اقليمية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ص ٢٠٢ .

للأناث ، ويصل معدل المواليد فى الألف إلى ٤٢,٦ ، ومعدل الوفيات ١٧,٥ فى الألف ، أى أن معدل الزيادة السنوية هو ٢٥,١ فى الألف .

وتختلف نسبة النوع فى الأقاليم الداخلية فى شرقى السودان ، حيث ترتفع إلى ٥٩,٣ ٪ للذكور ، ٤٠,٧ ٪ للأناث فى دلتا القاش ، ٥٥,٢ ٪ للذكور و ٤٤,٨ ٪ للاناث فى المدن الكبرى . بينما تقل فى اقليم ساحل البحر الأحمر إلى ٤١,٩ ٪ للذكور و ٥٨,١ ٪ للاناث .

وترتفع نسبة الذكور فى دلتا القاش لأن معظم الأيدى العاملة من الذكور ، وتقل فى منطقة ساحل البحر الأحمر لأن معظم الذكور فى سن العمل يهاجرون إلى المدن لفرص العمل المتوفره بينما تبقى الاناث مما يؤدى إلى زيادة نسبتهن عن الذكور .

أما من حيث فئات العمر فالمتوسط العام للأطفال أقل من ١٢ عاما هو ٣٢,٦ ٪ من مجموع السكان ، بينما يصل السكان فى مرحلة الشباب (من ١٢ إلى ٥٥ عاما) إلى ٦٠ ٪ ، وتقل نسبة السكان فى مرحلة العمر أكثر من ٥٥ عاما إلى ٨ ٪ . ويظهر من هذا أن معظم سكان شرقى السودان فى مرحلة الشباب .

ويتضح الاختلاف بين فئات العمر داخل الاقاليم المختلفة ، فنسبة الأطفال أقل من ١٢ سنة تصل إلى ٥٢ ٪ من السكان فى جنوب البطانه و ٤٢ ٪ فى منطقة السهل الساحلى ، وتقل إلى ٢٧ ٪ فى منطقة تلال البحر الأحمر وإلى ٧ ٪ فى المدن . بينما يزداد عدد السكان فى مرحلة الشباب (١٢ — ٥٥ سنة) إلى ٨٨ ٪ فى المدن ٦٥ ٪ فى دلتا القاش وجبال البحر الأحمر ، وتقل إلى ٤٢ ٪ فى جنوب البطانه .

ويرتفع عدد السكان كبار السن (أكثر من ٥٥ سنة) إلى ١٣ ٪ فى جبال البحر الأحمر والسهل الساحلى فى الشمال ، وإلى ٩ ٪ فى منطقة الزراعة

المروية بخشم القربة ، بينما تقل نسبتهم إلى ٣,٧ ٪ فى دلتا القاش . ويلاحظ انخفاض السكان العجزة فى مناطق الانتاج الزراعى ، وارتفاعها فى المناطق الفقيرة كمنطقة البحر الأحمر .

ويصل متوسط أفراد العائلة فى شرقى السودان إلى ٥,٥ نسمة ، تصل إلى ٩ نسمة فى جنوب البطانة ، ٧ نسمة فى السهل الساحلى الجنوبى ، ٦ نسمة فى جبال البحر الأحمر الشمالية ، بينما تقل إلى ٣ نسمة فقط فى المدن الكبرى . ويرتفع عدد أفراد العائلة إلى أعلى مستوى فى مناطق الإنتاج الزراعى ، حيث وصل عدد أفراد العائلة فى بعض قرى دلتا القاش إلى ٢٠ نسمة (١) .

محاور توزيع السكان : —

أثرت الصفات الصحراوية وشبه الصحراوية وأشكال التضاريس وموارد المياه على توزيع وكثافة السكان فى أنحاء شرقى السودان . ولعل أهم العوامل المؤثرة فى رسم محاور وأنماط التوزيعات السكانية هى : موارد المياه ووسائل النقل ومناطق الإنتاج الزراعى والاقتصادى . وكل من هذه العوامل يلعب دورا هاما ، خاصة إذا وضع فى الاعتبار طبيعة الأقاليم الجافة والقاحلة للمنطقة خصوصا فى أجزائها الشمالية والوسطى .

ويمكن على ضوء ذلك أن نحدد المحاور الرئيسية لتوزيع السكان فى منطقة شرقى السودان ، وتبلغ خمسة محاور رئيسية وهى ثلاثة محاور فى الاتجاه الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى ، ومحور رابع فى الإتجاه الشمالى الجنوبى ، ومحور خامس فى الاتجاه الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى . ولعل كل العوامل المؤثرة فى التوزيع السكانى هى التى تضافرت معا فى رسم شبكة السكان ،

---

(١) من نتائج دراسة الباحث الميدانية الاحصائية بين سكان شرقى السودان .

إذ يكون التركيز والتجمع السكانى أكثر وضوحا عندما تجتمع تلك العوامل أو كلها فى منطقة واحدة .

أما عن المحاور السكانية الأربعة الأولى ، فنجد أن المحور الأول يمتد على طول السهل الساحلى للبحر الأحمر حيث توجد أهم مراكز الاستقرار والتجمع السكانى المدنى والريفى ، ويمتد من الشمال لكى يشمل التركز البشرى فى قرى حلايب وجبيت المعادن ودنقناب ومحمدقول وأشت وأربعات . وفى الوسط يضم بورت سودان وسواكن ، بينما الجزء الجنوبى يشمل طوكر والمرافيت وعقيق وعدوبنا وعيتربه وقروره . ويظهر فى هذا المحور قلة السكان وتبعثرها فى الشمال ، بينما تركزهم نسبيا فى الوسط ، وتشتتهم فى مراكز متفرقة فى الجزء الجنوبى .

المحور السكانى الثانى هو الذى يتبع نهر العطبرة من أول دخوله إلى السودان وحتى بلدة قوز رجب الواقعة عليه فى الشمال . إذ نجد تركز مناطق الاستقرار البشرى على ضفاف العطبره ونهر السلام وستيت من بلدة القلابات جنوبا وحتى قرية الشواك على العطبره نفسه ، حيث أن جميع القرى المستقرة تتجمع حول هذه الروافد وهى القلابات وودكولى وتبارك الله والقريشة والتمرقو وحلة حكومة وود الحليو فى الجنوب . بينما فى الشمال وعلى الضفة الغربية للعطبره يمتد المشروع الإسكانى الكبير للنوبيين فى أرض البطانة . يلاحظ أن القبائل الغربية الوافدة تكاد تسيطر على الجزء الجنوبى ،ويحتكر النوبيون الجزء الشمالى من هذا المحور السكانى .

ويمثل نهر العطبره — كأهم مورد للمياه فى هذه المنطقة — القطب الأساسى الذى تلتف من حوله التجمعات السكانية . ويكاد هذا المحور أن يكون الفاصل بين قبائل البجه فى الشمال والشرق ، والقبائل العربية والوافدة فى الجنوب والغرب .

أما المحور الثالث فيمتد على طول الضفة الشرقية لنهر الرهد فى أقصى

الطرف الجنوبى لحدود منطقة شرقى السودان ، حيث يتجمع السكان على شكل نطاق من القرى الدائمة والمبعثرة من قرية الطوب الأحمر فى الجنوب الشرقى وحتى المغازة فى الشمال الغربى . ومعظم السكان فى هذا المحور هم من العناصر الوافدة والتى استقرت منذ أواخر القرن الماضى فى هذه المناطق .

المحور الرابع هو الشمالى الجنوبى والذى يمتد مع خط السكك الحديدية من مدينة كسلا جنوبا وحتى بورت سودان فى الشمال . ويضم المراكز الرئيسية حول محطات السكك الحديدية فى الشمال ، بينما تضاعف دلتا القاش عدد السكان فى الجزء الجنوبى من هذا المحور . ومن أهم التجمعات السكانية هى مدن كسلا وأروما وقرى مشروع القاش فى الجنوب ومراكز السكك الحديدية فى دردیب وهيا وتهاميم وصمت وسنكان وجبيت وسلوم فى الشمال . ولعل هذا المحور يشتمل على معظم مراكز السكان الرئيسية والقرى الكبرى فى أقليم شمال شرقى السودان .

ويضم المحوران الأول والرابع جميع مراكز استقرار السكان ، وجميع المدن والعواصم الرئيسية والقرى الكبرى فى أقليم شمال شرقى السودان .

أما المحور السكانى الخامس فيقع فى جنوب اقليم البطانة ، حيث ينتشر مع طول خط السكك الحديدية الذى يبدأ من مدينة الحواته بالقرب من نهر الرهد وحتى خشم القربة على نهر العطبرة . وتكاد تتجمع فى هذا النطاق السكانى كل المدن والقرى الهامة فى أقليم البطانة .

وبالإضافة إلى هذه المحاور الرئيسية لتوزيع السكان توجد مناطق موزعة فى المنطقة ، يزداد فيها التركز والتجمع السكانى أهمها جنوب البطانة بين خط السكك الحديدية شمالا ونهرى العطبره والرهد والحدود السياسية مع أثيوبيا فى الجهات الأخرى ، حيث تقع فى هذا الجزء معظم مشاريع الزراعة

المطرية الآلية التى أدت إلى قيام القرى الكبيرة المستقرة وعلى رأسها « دوكة » إلى جانب مشروع إستيطان اللاجئين الاريتريين فى قرى أم سقطة وأم بروش وأم زرزور وسالمين وغيرها .

ويظهر من التوزيع السابق لنطاقات التجمع السكانى فى شرقى السودان أثر الموارد المائية الدائمة المتمثلة فى نهر العطبره وروافده ونهر الرهد ، والموارد المائية الجوفية على طول السهل الساحلى للبحر الأحمر ، إلى جانب التأثير الواضح لخطوط السكك الحديدية فى تحديد الهيكل السكانى المبعثر على إمتداد هذه المنطقة . هذا إذا أضفنا إلى ذلك أثر مشاريع الإنتاج الزراعى التى تقوم على موارد المياه الدائمة والموسمية لتلك الأنهار . وبذلك تكتمل كل العوامل المؤثرة فى رسم الصورة النهائية للتوزيع السكانى فى المنطقة .

الكثافة السكانية : —

أما من حيث الكثافة السكانية فى شرقى السودان ، فنجد أنها تأتى فى المرتبة الأخيرة بين مديريات السودان فى متوسط نسبة السكان فى الكيلومتر المربع حيث تبلغ ٢,٧ نسمة ـ كم حسب إحصاء ١٩٥٦ . وبدون شك فى أن الظروف الطبيعية والاقتصادية هى التى أدت إلى تلك الأنماط العمرانية المتفرقة . ويمكن أن يقسم شرقى السودان إلى نطاقين رئيسيين يظهر فيهما التباين الواضح فى اختلاف الكثافات السكانية على إعتبار أن دائرة العرض ١٧ شمالا هى الفاصل بين القسم الشمالى الذى يضم كل المناطق الصحراوية وهى أكثر مساحة من القسم الجنوبى .

وبوجه عام فان متوسط الكثافة السكانية فى المنطقة حوالى ٥ نسمة ـ كم(١) ولكنها تنخفض فى القسم الشمالى إلى نسمة واحدة لكل كم٢ ، بينما تتراوح

---

(١) استخرجت الكثافة السكانية على أساس تقدير السكان لعام ١٩٧٢ والبالغ ١,٧١٢,٠٠٠ نسمة على مجموع المساحة الكلية للمنطقة وهى ٣٤٠٦٥٥ كم٢ .

هذه الكثافة فى القسم الجنوبى بين ١٠,٢ نسمة ـ كم٢ . ففى القسم الشمالى تتناقص الكثافة وتبلغ الحد الأدنى شمال خط السكك الحديدية (بورت سودان ــ عطبره (. وتقل أحيانا عن نسمة واحدة ـ كم٢ . وتدعو خطوط السكك الحديدية والمنحدرات العليا ومراكز العمران المستقرة إلى إرتفاع الكثافة السكانية التى تصل إلى ٥ ، ١٠ نسمة ـ كم٢ . أما فى القسم الجنوبى فترتفع هذه النسبة فى البطانة الوسطى والجنوبية إلى ٨,٥ نسمة ـ كم^{٢} .

وهناك نطاق ثالث ترتفع فيه نسبة الكثافة السكانية فى شرقى السودان ، ويتمثل ذلك فى مناطق الانتاج الزراعى حول دلتاوات القاش وطوكر وفى منطقة الزراعة المروية بخشم القربة ، والزراعة المطرية فى جنوب القضارف والمراكز العمرانية الرئيسية ، وعندئذ تتراوح الكثافة فى تلك المساحات بين ١٠ ، ٥٠ نسمة ـ كم^{٢} (شكل ٣) .

ويلاحظ بوجه عام إنخفاض نسبة الكثافة السكانية فى شرقى السودان ، ولا يدانيها فى ذلك إلا المديرية الشمالية ، كما وأن متوسط الكثافة السكانية فى السودان بصفة عامة يقرب من متوسطها فى شرقى السودان إذ يصل إلى ٥,٦ نسمة ـ كم .

رابعاً : الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للسكان

(١) النشاط الاقتصادى : ــ

إن معظم سكان شرقى السودان من الرعاه والبدو ، وتكاد تسيطر مهنة الرعى على جميع أجزاء المنطقة ، باستثناء مساحات الأراضى الزراعية التى يمارس فيها العمل والإنتاج الزراعى فى دلتاوات القاش وطوكر والزراعة المروية فى خشم القربة والزراعة المطرية فى جنوب البطانة ومعظم مناطق ضفاف الأنهار فى العطبرة والرهد وبعض أودية الأخوار الجافة على ساحل

ومنحدرات تلال البحر الأحمر فى اقليم شمال شرقى السودان . هذا بالإضافة إلى المدن والمراكز العمرانية التى يرتبط معظم سكانها بأعمال أخرى متصلة بالنشاط الاقتصادى غير الزراعى .

ويمكن من الاطلاع على النشاطات الاقتصادية للسكان فى بعض المراكز العمرانية التى تغطى كل مساحة شرقى السودان ، التعرف على المهن والحرف المختلفة للسكان ، وهى أقرب إلى الحقيقة فى تصوير نسب القوى العاملة والسكان خارج قوة العمل وقوع النشاط الاقتصادى فى تلك الأنماط الاقليمية فى المنطقة (١) .

وقد إتضح من الدراسة أن ٦٠ ٪ من سكان المنطقة فى مرحلة الشباب الذين تتراوح أعمارهم من ١٢ إلى ٥٥ سنة ، وهى الفترة من العمر التى يمكن أن يطلق عليها القوة العاملة الحقيقية من السكان . ولما كان هذا الجزء من السودان يعانى من التخلف الاقتصادى ، لذلك يلاحظ وجود نسبة كبيرة من السكان فى بعض الأقاليم فى حالة من البطالة . هذا إلى جانب إرتفاع نسبة الأطفال صغار السن والعجزة فى هذه المناطق ، والذين صنفوا على أساس أنهم من السكان خارج القوة العاملة . وبالتالى فهم لا يساهمون فى النشاط الاقتصادى .

وقد اعتبرت معظم الاناث فى سن العمل من ربات المنازل ، وهن الزوجات اللاتى يقمن بالنشاط المنزلى ، وصنفت كمهنة تمارس ضمن الأعمال الاقتصادية (ملحق ١) .

وتبين من واقع الدراسة الميدانية لعام ١٩٧٢ أن نسبة القوة العاملة الحقيقية فى شرقى السودان لا تقل عن ٤٧ ٪ من السكان ، أقل من ٥٠ ٪

---

(١) قام الباحث بالحصول على بيانات النشاط الاقتصادى بتطبيق استمارة الاستبيان فى بعض المراكز الاقليمية فى المنطقة موضوع هذا البحث .

تمثلها ربات المنازل من الاناث ، بينما يرتفع عدد السكان خارج القوة العاملة إلى ٥٣ ٪ منهم ٢٠ ٪ هم من الطلبة فى مراحل التعليم المختلفة ، ٣٣ ٪ من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٢ سنة ، والسكان الذين تتجاوز أعمارهم ٥٥ سنة ، إلى جانب الذين لا يمارسون أى نوع من المهن المختلفة .

وإذا تم استبعاد نسبة ربات المنازل من القوة العاملة ، فقد يكون واضحا أن قوة العمل الحقيقية لسكان شرقى السودان لا تزيد عن ٢٥ ٪ من مجموع نسبة السكان فى المنطقة بأجمعها .

ويظهر من مجموع هذه القوة العاملة أن ٥٥ ٪ منهم يمارسون الرعى وتربية الحيوان ، بينما يرتفع المزارعين إلى ٣٠ ٪ . وتقل نسبة السكان العاملين الذين يقومون بالنشاط التجارى والأعمال الحرة والموظفين وغيرهم إلى أقل من ١٥ ٪ من نسبة مجموع السكان العاملين فى شرقى السودان . وتختلف صورة القوة العاملة فى المدن الكبرى ، إذ تصل فى متوسطها العام إلى ٣١ ٪ من النسبة العامة للسكان .

(٢) المستوى التعليمى والثقافى : ـ

تنتشر الأمية بين سكان شرقى السودان بنسبة كبيرة ، ليس فى المناطق الريفية فقط بل حتى فى المدن ومراكز العمران . وربما كانت حياة الترحال والهجرات الموسمية بين السكان والاهمال الذى عاشوه من جانب السلطات المسئولة فى تاريخهم الطويل ، من أحد الأسباب الرئيسية فى تدهور مستويات التعليم بين سكان المنطقة . وقد إنعكست فى مظاهر حياة التخلف والبدائية التى تمارسها بعض القبائل خاصة فى مناطق تلال وساحل البحر الأحمر .

وتزيد نسبة السكان الذين لم يتلقوا التعليم على الاطلاق فى أجزاء المنطقة الريفية . بينما ترتفع نسبة تعليم (الخلاوى) فى القرى ومراكز العمران ، وتزداد نسبة التعليم الابتدائى فى مناطق الاستقرار البشرى حيث الحياة

المستقرة فى المناطق الزراعية والإنتاجية . ويمثل التعليم الثانوى العام فما فوق نسبة قليلة من السكان ، ولكنه يرتفع فى المدن الكبرى بوجه عام (١) .

وبوجه عام نجد أن المتوسط العام لنسبة الأمية فى شرقى السودان لا يقل عن ٦٢ ٪ من السكان ، يصل إلى أكثر من ٩٠ ٪ فى مناطق البحر الأحمر ، وإلى أكثر من ٧٠ ٪ فى منطقة السهل الساحلى . وتنخفض نسبة الأمية إلى أقل من ٥٠ ٪ من نسبة السكان فى مناطق الزراعة المروية والمطرية وعلى الدلتاوات الفيضية ، ويصل حده الأدنى إلى ٣٠ ٪ فى المدن الكبرى .

ويمثل تعليم الخلاوى نسبة ٩ ٪ من السكان عامة ، ترتفع إلى ٢٠ ٪ فى دلتا القاش ولا تقل عن ١٦ ٪ فى القرى الكبيرة ، بينما لا يوجد هذا النوع من مراحل التعليم فى مناطق الزراعة الحديثة ، وينخفض إلى أقل من ٥ ٪ فى منطقة البحر الأحمر .

وتمثل نسبة التعليم الابتدائى بما لا يزيد عن ٢٥ ٪ من نسبة السكان فى شرقى السودان ، لكنها تقل عن ٧ ٪ فى منطقة البحر الأحمر ، وترتفع إلى ٣٨ ٪ فى منطقة الزراعة المطرية فى جنوب البطانه . وتصل إلى أعلى معدلها ٤٤ ٪ فى منطقة الزراعة المروية . ويظهر أن حياة الاستقرار فى القرى الدائمة بمشاريع الانتاج الزراعى فى تلك المناطق الأخيرة ، هى التى أدت إلى زيادة نسبة السكان الذين تلقوا مرحلة التعليم الابتدائى . كما يجب ملاحظة أن نسبة كبيرة من الذين اعتبروا فى مرحلة التعليم الابتدائى لم يحصلوا على

---

(١) ينتشر فى أقاليم السودان نظام (الخلاوى) وهو درجة من التعليم تسبق المرحلة الابتدائية ، حيث يتلقى التلاميذ شرح وتفسير القرآن الكريم وتعاليم الدين الاسلامى . ويكتفى الكثير من السكان بهذه المرحلة من التعليم . ومع أن هذا النوع من التعليم فى طريقه الى الزوال فى السنوات الأخيرة ، لكنه مازال منتشرا فى معظم المناطق المتخلفة ومنها منطقة شرق السودان .

(٢) يشمل التعليم العام فى السودان ثلاث مراحل دراسية ، الابتدائى – الثانوى العام – الثانوى والعالى ويبلغ عدد سنواته ١٢ عاما ، ستة أعوام للمرحلة الابتدائية وثلاثة أعوام لكل من مرحلتى الثانوى العام والعالى .

الشهادة النهائية فى هذه المرحلة ، وأن معظمهم يكتفى بالسنوات الأولى من التعليم .

ولا تزيد نسبة التعليم فوق الابتدائى عن ٥ ٪ من سكان شرقى السودان ، ترتفع إلى ١٥ ٪ فى المدن الكبرى و ١٠ ٪ فى مناطق الزراعة المروية والفيضية ، بينما لم يصل فى معظم الأحوال إلى هذه المرحلة من التعليم أحد فى منطقة جبال البحر الأحمر الشمالية . ويرجع ذلك للانتشار الواسع للحياة البدوية فى المنطقة الأخيرة وعدم ارتباطهم بالأرض فى مكان واحد . بينما تركز المدارس فى المدن أدى إلى إرتفاع عدد السكان فى مرحلة التعليم العالى .

وقد بدأ الإتجاه فى السنوات الأخيرة إلى نشر التعليم الابتدائى والثانوى العام ، وذلك عن طريق التوسع فى زيادة المدارس الابتدائية وخاصة فى الأماكن النائية ، وفى تشجيع أبناء السكان على تلقى التعليم وتقديم التسهيلات الضرورية التى تقلل من عبء تكاليف التعليم على السكان فى شرقى السودان من ناحية ، وإلى تدخل الدولة فى جعل التعليم الابتدائى مرحلة اجبارية على مستوى القطر من ناحية أخرى .

وقد وصل عدد المدارس الابتدائية للبنين والبنات إلى ٤٣٨ مدرسة فى عام ١٩٧٢ ، حيث إزداد هذا العدد بعد عام ١٩٦٩ بينما لم يتعد ١٧٠ مدرسة قبل عام ١٩٦٧ أى حوالى ٣٩ ٪ من نسبة المدارس فى عام ١٩٧٢ . ولكنه قد وصل إلى ٢٥٣ مدرسة فى عام ١٩٦٩ . ويلاحظ خلال الخمس سنوات الأخيرة أن عدد المدارس الابتدائية للبنات تقل كثيرا عن مثيلاتها للبنين ، حيث تمثل مدارس البنات ٣٠ ٪ من نسبة المدارس الابتدائية فى عام ١٩٦٧ إرتفعت إلى ٣٢ ٪ فى عام ١٩٧٠ ، ثم أصبحت ٣١ ٪ من مجموع المدارس الابتدائية فى عام ١٩٧٢ ، أى ما يقرب من ٧٠ ٪ منها

مدارس للبنين (١) .

هذا وإذا وضعنا فى الاعتبار أن هناك بعض المدارس الابتدائية المشتركة (البنين والبنات) فى بعض المناطق القليلة السكان ، فيتبين أن عدد مدارس البنات سوف لا يزيد بأى حال عن ٣٣ ٪ من مجموع المدارس الابتدائية . ويرجع هذا بالطبع إلى عدم الرغبة فى تعليم البنات بين سكان تلك المناطق وهو الحال فى جميع الأجزاء المتخلفة فى السودان .

ونظرا لعدم وجود العدد الكافى من الطلاب فى منطقة واحدة ، فقد ظهر نظام المدارس ذات الداخليات السكنية ، والتى تقوم بايواء الطلاب واسكانهم وتغذيتهم مما يؤدى إلى إزدياد تكاليف التعليم فى السودان بوجه عام (٢) .

ويوجد فى شرق السودان ١٠٩ مدرسة إبتدائية داخلية فى عام ١٩٧٢ من عدد المدارس الابتدائية البالغ عددها ٤٣٨ مدرسة ، أى أنها تشكل ٢٥ ٪ من عدد المدارس . كما ويصل عدد الطلبة فى المدارس ١٠١٣٣ طالبا من مجموع عدد الطلبة فى المدارس الابتدائية والبالغ عددهم ٩٦٤٣٣ طالب ، أى أنهم يمثلون ١٢ ٪ من مجموع الطلاب فى عام ١٩٧٢ . بينما يشكل عدد طلاب المراحل الابتدائية بنوعيها ٥,٦ ٪ من نسبة المجموع الكلى لسكان شرق السودان فى عام ١٩٧٢ .

ويظهر أن ٢٧ ٪ من عدد المدارس الابتدائية للبنين والبنات فى عام ١٩٧٢ يتركز فى الثلاث مدن الكبرى فى شرق السودان وهى بورت سودان

---

(١) رئاسة تعليم مديرية كسلا (١٩٧٢) إحصائية تبين تطور عدد المدارس الابتدائية بنوعيها ١٩٦٦ - ١٩٧٢

(٢) يوجد نظام المدارس الداخلية السكنية فى جميع مناطق السودان المختلفة وفى كل مراحل التعليم بنوعيه .

وكسلا والقضارف . كما أن ٤٠ ٪ من مجموع مدارس البنات توجد فى هذه المدن الثلاث . بينما يقل تعليم البنات فى المجالس المحلية لمنطقة البحر الأحمر إذ توجد فيها ٢٠ ٪ فقط من مجموع مدارس البنات مع أنها تشمل ٣٦ ٪ من المجالس المحلية فى شرقى السودان . ويرجع هذا إلى عدم رغبة السكان المحليين فى تعليم البنات ، مع أن عدد مدارس البنات فى مدينة بورت سودان يصل إلى ٤٨ ٪ ، وفى كسلا ٤٤ ٪ ، وينخفض فى شمال البطانة إلى ٢٨ ٪ من مجموع المدارس الابتدائية (ملحق ١) .

أما فيما يختص بالتعليم الثانوى العام ، نجد أن هناك ٧٣ مدرسة ثانوية عامة فى شرقى السودان ، منها ١٩ مدرسة للبنات تمثل ٢٦ ٪ من مجموع المدارس . وتصل نسبة البنات إلى ٢٠ ٪ من مجموع عدد الطلاب فى مرحلة الثانوى العام فى عام ١٩٧٢ والبالغ عددهم ٧٩٦٣ طالبا وطالبة (١) . ويرجع إنخفاض نسبة البنات فى التعليم الثانوى العام عنه فى المرحلة الابتدائية إلى أن معظمهم يكتفين بالمرحلة الأخيرة من التعليم نظراً لقرب بلوغهن سن الزواج فى المناطق الريفية من ناحية ، أو لعدم سماح أسرهن للسفر إلى المدن الكبرى حيث التعليم الثانوى العام من ناحية أخرى .

ويكون نسبة الطلبة فى الثانوى العام حوالى ٠,٥ من نسبة السكان . أى أن مجموع عدد الطلبة فى مرحلة الثانوى العام يمثلون حوالى ٨,٣ ٪ من طلبة المرحلة الابتدائية . إذ يسجل نسبة الطلاب فى المرحلة الثانوية العامة إنخفاضا شاذا بالنسبة للطلاب فى المرحلة الابتدائية ، بمعنى أن قلة بسيطة من طلاب الابتدائى هم الذين يجدون الفرصة للالتحاق بالثانوى العام .

وتبلغ نسبة الطلاب فى المرحلتين الابتدائية والثانوية العامة للبنين والبنات ٦,١ ٪ من نسبة مجموع السكان الكلى فى شرقى السودان .

---

(١) رئاسة تعليم مديرية كسلا (١٩٧٢) ، عدد المدارس والطلاب فى مرحلة الثانوى العام لعام ١٩٧٢ فى شرقى السودان .

وتتركز المدارس الثانوية العليا فى المدن الكبرى ، وهى بورت سودان وكسلا والقضارف وحلفا الجديدة ولا تزيد فى مجموعها عن سبع مدارس ، أى بمعنى أن المدرسة الثانوية العليا تخدم ما يقرب من ربع مليون نسمة (٢٤٤,٥٠٠ نسمة) من سكان شرقى السودان . ولا يوجد فى المنطقة معاهد أو كليات عليا حتى الوقت الحاضر (١٩٧٢) .

ويلاحظ أن التعليم بدأ ينتشر بين السكان فى الخمس سنوات الأخيرة ، وخاصة بين الأطفال الذين فى مرحلة التعليم وذلك لحرص الدولة على توفير فرص التعليم . وتشجيعا لذلك تقوم الدولة بانشاء المدارس الداخلية السكنية وبتقديم الوجبات الغذائية حتى للطلبة الخارجين فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى العام (٢) . ولكن مع ذلك نجد أن معظم السكان وهم من القبائل الرعوية يفضلون إستخدام أبنائهم فى رعى الماشية والابل ، عن إرسالهم إلى التعليم فى المدارس النظامية . كما أن ظروف الترحال والتنقل تؤدى إلى صعوبة ترك الأبناء فى المدارس بعيدا عن عائلاتهم . ففى عام ١٩٧٢ تبين أن هناك ١٢ طالبا فقط فى قرية (الصفية) ، و ١٥ طالبا فى قرية (فودكوان) وهى من أكبر القرى فى المنطقة الشمالية لجبال البحر الأحمر (١) .

وتظهر الأمية بنسبة كبيرة بين السكان الذين يمارسون النشاط الاقتصادى فى الأقاليم الداخلية المختلفة لشرقى السودان ، وخاصة الذين يشتغلون بمهنة الرعى أو الزراعة بأشكالها المختلفة ، أو بين ربات المنازل أنفسهن . فإذا أستثنى مجموع الطلاب فى مراحل التعليم المختلفة نجد أن العلاقة وثيقة والأرتباط طرديا بين عدد المزارعين والذين تلقوا مرحلة التعليم (الخلاوى) فى شرقى السودان .

---

(١) تساهم منظمة التغذية الدولية فى مشروع (العون الغذائى) لطلبة المدارس فى مديريات السودان الفقيرة ومن ضمنها منطقة شرقى السودان .

(٢) من نتائج زيارة الباحث الميدانية لقرى مديرية البحر الأحمر الشمالية .

ويرى الارتباط عكسيا بين مجموعة السكان فى قوة العمل (المزارعين — الرعاة — التجار — المهن الأخرى) وبين مستوى التعليم الابتدائى فى المنطقة . ويمكن لايضاح تلك الحقائق علميا الاستعانة بالنتائج الاحصائية للدراسة الميدانية للباحث فى المراكز الاقليمية الموزعة على امتداد منطقة شرقى السودان، وإتباع الطرق العلمية الخاصة بالتحليل الاحصائى .

ويتضح من هذه النتيجة وجود ارتباط عكسى بين السكان فى قوة العمل (المزارعين — التجار — المهن الأخرى) وبين مستوى التعليم الإبتدائى . أى أنه كلما زاد عدد السكان فى قوة العمل ، كلما أدى إلى إنخفاض نسبة مستوى التعليم الابتدائى بينهم .

ومن العرض السابق يظهر انخفاض مستويات التعليم بين السكان فى شرقى السودان بوجه عام وبين السكان الذين يقومون بالأنشطة الاقتصادية المختلفة بصفة خاصة ، مما يؤثر على مستوى المهنة والحرفة وبقية الأنشطة .

ولا تنفرد المنطقة عن غيرها من أقاليم السودان الأخرى فى ذلك ، بل تشترك معظم الأقاليم وخاصة فى الغرب وفى الأقليم الجنوبى من السودان فى انتشار الأمية والجهل . وهى التى تشكل كبرى العقبات فى سبيل التطوير والأرتقاء والتحسين فى مستوى المهن الاقتصادية .

(٣) المستوى الصحى : —

يعانى سكان شرقى السودان من الظروف الطبيعية القاسية للحياة والتى تحتمها الحياة الصحراوية وشبه الصحراوية وما يتعرضون إليه من المجاعات خصوصا فى مديرية البحر الأحمر ، بسبب قلة وندرة الأمطار التى تختلف من عام إلى آخر . وما يترتب عليه من الجفاف والنقص فى الحاصلات الزراعية ونفوق الحيوانات . وهذا ما تعرضت له هذه المناطق سنوياً منذ

ربع قرن من الزمان (١٩٤٩) فى تاريخها الطويل ، وكان أحدثها هى فترة الخمس سنوات الأخيرة (١٩٦٧ — ١٩٧٢) (١) . بل وتعتبر من أكبر مراكز المجاعات والقحط ليس فى السودان فحسب بل على مستوى القارة الافريقية (٢) . كما ويمثل النقص الخطير فى موارد المياه الجوفية والسطحية وقلة الأمطار السنوية فى بعض الأعوام أكبر التحديات والمشكلات التى تهدد حياة المجتمع البشرى فى شرقى السودان .

وقد انعكست تلك الظروف القاسية على الأحوال الصحية للسكان وما تنطق به أجسامهم من النحافة والهزال نتيجة لنقص المواد الغذائية فى تكوين الطعام ، مما أدى إلى ظهور أمراض سوء التغذية والانيميا والمرتبطة بنقص الغذاء .

ففى منطقة البحر الأحمر تنتشر أمراض سوء التغذية وفقر الدم ويمثلان معاً ٨٠ ٪ من مجموع الأمراض التى تشمل السل الرئوى والتهابات الجهاز التنفسى . بينما تنتشر أمراض الملاريا والبلهارسيا وأمراض الجهاز الهضمى والتنفسى والعيون فى مناطق الزراعة الفيضية فى القاش وطوكر . أما فى أقليم البطانة فتسود أمراض الالتهابات المعوية والرئوية وسوء التغذية والجهاز البولى وأمراض العيون والأذن (٣) .

---

(١) رأى الباحث الاطفال الصغار يجرون وراء القطارات على طول خط السكك الحديدية خاصة بين هيا وبورت سودان ، وذلك للحصول على لقمة من الخبز . كما أن بعضهم ينتظر السيارات والقطارات للحصول على مياه الشرب على طول منطقة ساحل البحر الأحمر من حلايب شمالا وحتى قروره جنوبا ، وفى منطقة تلال البحر الأحمر .

(٢) تقوم منظمة الأمم المتحدة للزراعة والتغذية بتقديم معونات غذائية لسكان منطقة البحر الأحمر سنويا ، وتشمل الذرة واللبن المجفف والغذاءات المعلبة مثل ما حدث فى أعوام ١٩٦٧ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ .

(٣) مكتب حكيمباشى هديرية كسلا (١٩٧٢) : أنواع الأمراض المنتشرة فى منطقة شرق السودان .

ويهدد حياة سكان شرقى السودان الصحية اجتياح الأمراض الوبائية مثل الجدرى الحقيقى والنزلات المعوية كما حدث فى عام ١٩٧١ .

ويلاحظ الباحث فى المنطقة أثر سوء التغذية على أجسام السكان وما يعانون من الكسل والخمول . ومع أن السكان فى أقليم البطانة هم أحسن حالا من سكان شمال شرقى السودان . لكن بوجه عام فان سكان المنطقة يشكون من أمراض سوء التغذية .

ويصعب على الدولة تقديم الخدمات الصحية إلى البدو والرحل سكان تلك المناطق . وقد ظهر من توزيع عدد المستشفيات والأسرة وتوزيع المراكز الصحية ونقاط الغيار فى شرقى السودان ، أنها ليست أحسن حالا من كثير من مناطق السودان الأخرى . ففى عام ١٩٦٥ كان بالمنطقة سبع من المستشفيات تضم ١٣٠٩ سريرا ، إلى جانب ١٣ من المراكز الصحية و ٨٩ من نقاط الغيار . وتمثل هذه ٩ ٪ من مستشفيات السودان البالغ عددها ٧٦ مستشفى ، ١٢ ٪ من مجموع عدد الأسرة فى المستشفيات ، ٢٣ ٪ من عدد المراكز الصحية ، ١٣,٥ ٪ من نقاط الغيار فى السودان (٢) .

وبعد خمس سنوات فى عام ١٩٧٠ ، أصبحت المنطقة تضم ٨ ٪ من المستشفيات و ١٢ ٪ من الأسرة ، ٢١,٥ ٪ من المراكز الصحية ، ١٠ ٪ من نقاط الغيار فى السودان . أى أن المستشفيات زادت بمعدل مستشفين فى خلال الخمس سنوات ، ٨٨ ٪ أسرة سنويا ، ومركز صحى واحد ، ٥ نقاط للغيار فى العام .

ويظهر من إحصائية الخدمات الصحية للمنطقة أن المستشفى الواحد

---

(٢) يطلق اسم (نقطة الغيار) على المركز الصحى القروى الصغير فى السودان والذى يرأسه ممرض واحد تدرب على أعمال التمريض والاسعافات الأولية البسيطة .

يخدم ١٩٠,٠٠٠ نسمة من سكان شرق السودان ، ترتفع إلى ٣٤٠٠٠٠ نسمة فى أقليم البطانة ، وتقل إلى ١١٧,٠٠٠ نسمة فى أقليم شمال شرق السودان . أى أن المستشفى فى إقليم البطانة يخدم ضعف عدد السكان الذين يخدمه المستشفى فى شمال شرق السودان بينما نجد أن المستشفى فى السودان يخدم ١٤٨,٠٠٠ نسمة تقريباً فى عام ١٩٧٢ ، بمعنى أن المستشفى يخدم أكبر نسبة من المستوى العام فى السودان . هذا مع مراعاة الامكانيات المحدودة للخدمات الطبية فى المستشفيات السودانية بوجه عام (١) .

ويلاحظ أن السرير الواحد فى مستشفيات شرق السودان يخدم ٩٨٠ نسمة ، بينما يمثل ١٠٧٥ نسمة فى السودان . كما أن المركز الصحى يخدم ١٠٠,٠٠٠ نسمة فى المنطقة ، ترتفع إلى ٢٠٣٦٠٠ نسمة على مستوى السودان كله . وأن نقطة الغيار تخدم ١٥١٥٠ نسمة من سكان شرق السودان ، بينما تنخفض إلى ١٤٧٣٥ نسمة فى السودان .

وتحتل منطقة شرق السودان المركز الخامس من حيث عدد المستشفيات بين مديريات السودان بعد النيل الأزرق والشمالية وكردفان والخرطوم . والمركز الثالث من حيث عدد الأسرة والمراكز الصحية بعد مديريات الخرطوم والنيل الأزرق . كما تشغل المركز الرابع من حيث عدد نقاط الغيار بعد مديريات النيل الأزرق والشمالية وكردفان (٢) .

ويرى أن المستشفيات فى شرق السودان تخدم فى معظمها سكان المدن أنفسهم . بينما تقوم المراكز الصحية ونقاط الغيار فى الأرياف بتقديم الخدمات العلاجية للسكان . وقد تبين أن معظم عدد المستشفيات فى المنطقة يوجد

---

(١) وزارة التخطيط – الخرطوم (١٩٧٠) ، ص ٢٢٧ .

(٢) وزارة التخطيط – الخرطوم (١٩٧٠) ، ص ٢٢٧ .

فى أقليم شمال شرقى السودان ، وأن أغلبية عدد نقاط الغيار توجد فى اقليم البطانة ، بينما يكاد يتساوى عدد المراكز الصحية فى الاقليمين بالمنطقة .

ويلاحظ أن المناطق الجنوبية من اقليمى شمال شرقى السودان والبطانة تتمتع بالخدمات الصحية أكثر من المناطق الشمالية فى منطقة البحر الأحمر الشمالى وشمال البطانة ، إذ تتركز بها ٩٢ نقطة غيار من المجموع الكلى البالغ ١١٣ نقطة غيار ، أى تستحوز على أكثر من ٨٠ ٪ من نقاط الغيار فى شرقى السودان . كما تستأثر الأجزاء الجنوبية من الاقليمين كذلك بحوالى ٧٠ ٪ من المراكز الصحية البالغ عددها ١٢ مركزا من المجموع الكلى للمراكز الصحية وهو ١٧ مركزا فى شرقى السودان (٣) .

وتمثل المستشفيات الكبرى العواصم الصحية الاقليمية التى تشرف على مساحات إدارية واسعة ، فمستشفى بورت سودان يخدم معظم سكان منطقة البحر الأحمر ، إذ لا يقل متوسط عدد المرضى الشهرى عن ١٨٠٠٠ نسمة ، كما أن مستشفى كسلا يستقبل فى خلال الشهر الواحد ١٥٠٠٠ نسمة معظمهم من المناطق الريفية لمدينة كسلا ومنطقة أروما .

ويلاحظ أن معظم المرضى الداخلين بمستشفى هم من سكان منطقتى المجالس المحلية الريفية لمدينتى كسلا وأروما وحتى من اقليم البطانه نفسه . بينما لا يزيد متوسط عدد المرضى الشهرى فى مستشفى أروما عن ٤٢٥٠ نسمة ويقل فى مستشفى سنكات إلى ١٣٥٠ نسمة . ويصل متوسط المرضى الشهرى فى المستشفى القضارف إلى أكثر من ١٢٠٠٠ نسمة ، بينما ينخفض إلى نصف هذا العدد (٥٩٠٦ نسمة) فى مستشفى الحواته ، ويهبط عدد المرضى الشهرى الذين تستقبلهم مستشفيات طوكر وحلفا الجديدة (١) .

---

(١) مكتب حكيمباشى مديرية كسلا (١٩٧٢) ، احصائية عن توزيع المراكز الصحية ونقاط الغيار فى المجالس المحلية .

(٣) مكتب حكيمباشى مديرية كسلا (١٩٧٢) المتوسطات الشهرية لمجموع المرضى فى مستشفيات شرق السودان .

ويتبين من ذلك أن هناك ثلاث مستشفيات رئيسية فى شرقى السودان هى بورت سودان وكسلا والقضارف بينما تعتبر مستشفيات طوكر وسنكات وأروما وحلفا الجديدة والحواته مستشفيات مساعدة لخدمة الحالات المرضية المحلية البسيطة ، بينما تقوم هذه المستشفيات الصغرى بتحويل معظم الحالات المرضية المستعصية إلى تلك المستشفيات الثلاث الكبرى . أما نقاط الغيار الموزعة على الأرياف فانها لا تقدم سوى الاسعافات الأولية ، كما إنها تعانى من النقص وعدم تأهيل القائمين بالتمريض فيها من ناحية ومن قلة الأدوية والعقاقير من ناحية أخرى (٢) .

(٤) المستوى المعيشى والحضارى :—

يتميز سكان شرقى السودان ببساطة متطلبات المعيشة ، وهى تنحصر فى المواد الغذائية المحدودة ومستلزمات السكن والملبس غير المعقدة . ولذلك فان معظم السكان يعيشون فى مستوى منخفض خاصة وأنهم يحصلون على دخول اقتصادية قليلة تنفق جميعها على تكاليف والتزامات الحياة المعيشية .

ومن الدراسة الميدانية لدخل الأسرة السنوى ونسبة الدخل والانفاق السنوى للأفراد فى الأقاليم المتعددة داخل المنطقة لعام ١٩٧٢ (٣) ، يتضح أن متوسط دخل الأسرة السنوى فى شرقى السودان يصل إلى ٢٨٠ جنيه سنويا ، وتنخفض إلى أقل من ١٠٠ جنيه للأسرة فى مناطق البحر الأحمر والتى تمثلها العائلات فى قرى محمد قول وجبيت المعادن فى الشمال ، وسنكات فى الوسط ، وقرية قرورة فى الأجزاء الجنوبية . ولعل ذلك يرجع إلى الامكانيات الاقتصادية والظروف الطبيعية التى تسيطر على منطقة جبال

---

(١) قام الباحث بزيارة العديد من نقاط الغيار فى شرقى السودان (١٩٧٢) ووجد أنها تشكو من انعدام الأدوية ، وأن البعض الاخر لا يقدم أى خدمة طبية لعدة شهور ، نظرا لعدم رغبة الممرضين فى العمل بهذه المناطق النائية كما حدث فى قرية (صفية) بمنطقة جبال البحر الأحمر الشمالية .

(٢) أنظر ملحق (٢) .

البحر الأحمر . وترتفع إلى ١٩٠ جنيها فى منطقة الزراعة الفيضية وإلى أكثر من ٢٠٠ جنيه فى منطقة الزراعة المروية ، وتصل إلى الحد الأقصى لأكثر من ٢٨٥ جنيه فى العام فى المدن الكبرى ومنطقة الزراعة المطرية بجنوب البطانة (١) .

وهذه الأرقام تكاد تكون متساوية مع الدراسة التى قامت بها مصلحة الإحصاء عن دخل الأسرة فى السودان بين عامى ٦٧—١٩٦٨ ، إذ تبين أن دخل الأسرة السنوى فى المناطق الريفية فى شرقى السودان هو ١٨٣ جنيها ، وهو أكبر دخل للأسرة فى السودان بالنسبة للمديريات الأخرى وذلك باستثناء مديرية الخرطوم والتى وصل فيها إلى ٢٣٦ جنيه ، بينما ينخفض إلى ١٧٠ جنيه فى النيل الأزرق ، ١٣١ جنيها فى كردفان ، ١٢٤ جنيها فى الشمالية ، ١٢٤ جنيها فى مديرية دارفور (٢) .

وقد ظهر كذلك أن متوسط دخل الأسرة السنوى فى السودان بالمناطق الريفية هو ١٤٨ جنيها ، يرتفع إلى ٢٧٠ فى المناطق شبه المدنية وإلى ٤١١ جنيه فى المدن ، بينما يبلغ المتوسط العام لدخل الأسرة فى السودان فى هذه المناطق الثلاث ١٨٩ جنيها . وقد تبين من دراسة مصلحة الاحصاء كذلك أن متوسط المصروفات السنوية فى المناطق الريفية فى السودان ١٥٨ جنيها . كما أن ٧٢ ٪ من هذه المصروفات فى شرقى السودان تنفق على الطعام والشراب ، ٦,٥ ٪ على السكن ، ١٠ ٪ على الملابس والأحذية ، ١١,٥ ٪ للمصروفات الأخرى (٣) .

---

(١) أشرك الباحث فى هذه الدراسة للمجالس الشعبية القروية ولجان تطهير القرى المحلية فى تلك المناطق ، وذلك لضمان الحصول على معلومات صحيحة عن الدخول الاقتصادية ، نظرا لخوف السكان من إعطاء البيانات الحقيقية .

(٢) — Dept. of Statistics — Khartoum (1970), Household Sample Survey in the Sudan 1967/68, P. 65.

(٣) — Dept. of Statistics — Khartoum (1970), PP. 38 — 80.

وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن متوسط دخل الفرد السنوى فى شرقى السودان ٣٤ جنيها ، ولكنها تنخفض إلى أقل من ٥٠ ٪ (١٧ جنيها) فى منطقة البحر الأحمر فى قرى جبيت المعادن وسنكات وقرورة . كما وتكون أقرب إلى المتوسط فى مناطق الزراعة على الدلتا الفيضية ومناطق الزراعة المروية والمطرية ، ولكنها ترتفع إلى ٩٥ جنيها فى المدن الكبرى .

ويكاد الدخل السنوى يغطى المصروفات السنوية فى المنطقة ، ولكنه يسجل عجزا فى منطقة البحر الأحمر كذلك (سنكات وقرورة) ، ويعمل على توفير القليل فى مناطق الزراعة الفيضية والمروية والمطرية والمدن الكبرى فى شرقى السودان .

ورغم أن المتوسطات العامة لدخل ومصروفات الأسرة والفرد فى شرقى السودان تكاد تكون مشابهة لما تحدث فى أقاليم السودان الأخرى أو تزيد عنها . لكن مع هذا يلاحظ أن السكان ، ماعدا بعض المدن الكبرى ، من أكثر الأقاليم تخلفا وبدائية . فقبائل البجه فى شمال شرقى السودان من أكثر قبائل السودان تخلفا ، بل وقد ظلوا قرون طويلة يعيشون حياة أجدادهم وأبائهم يتخبطون فى ظلمات التخلف . ولم يطرأ على حياتهم أى نوع من التغير ، بينما تطورت الحياة من حولهم . فرغم أن بلادهم تطل على البحر إلا أنهم يديرون ظهورهم له ، ولم يفكروا حتى فى استغلال خيراته أو الاشتغال بالملاحة والتجارة فى موانىء الساحل نفسه فى أصعب سنوات القحط والمجاعات التى تتعرض لها مناطقهم . ومازالوا حتى الوقت الحاضر أقرب إلى حياة الإنطواء والعزلة من الانفتاح على الحياة الحديثة .

وتحافظ قبائل البجه على تلك الأزياء التقليدية فى ملابسهم وفى الشعر الكثيف المجعد الذى يكسو رؤوسهم ، ولعل ظروف البيئة الطبيعية الجافة قد صبغتهم بطابعها القاسى .

وقد أجمع الكثير من الباحثين والدارسين ورجال الحكم والإدارة لمنطقة شرقى السودان على مدى التخلف الذى تعيشه قبائل البجه . ولعل أبلغ وصف لحياة هذه القبائل فى السنوات الأخيرة ما خطه محافظ مديرية كسلا (١٩٦٧) وهو يناشد الدولة للاهتمام بتنمية وتطوير أوطان البجه بقوله (١) : —

« إنالأوان قد حان للأخذ بأيديهم ليخطوا خطوة إلى الأمام ، فقد وقفوا وقفة طويلة متكئين على سيوفهم خالفين أقدامهم على سيقانهم ، مولين وجوههم التى تظللها لبد من الشعر الأشعث الدهين شطر ذلك البحر الذى يعيشون على شواطئه ، شاخصين بأعينهم الدقيقة مركزين أبصارهم فى عجب واستغراب يراقبون موكب الحضارات يمر عليهم بسفنه وبواخره للميناء ، وكأنهم متفرجون تنعكس على نواظرهم صور أشبه بطيف أو خيال لا يمت إلى حياتهم بصلة » .

وقد قام من بين سكان البجه من يدعو إلى التخلى عن تلك الحياة البدائية ، وللعمل من أجل تغيير نظرتهم ومفهومهم للحياة ، ونبذ الكسل والخمول والمشاركة الفعلية للنهوض وتنمية مناطقهم (٢) .

ولاتزال بعض القبائل الرعوية — الشكرية واللحويين والبطاحين وغيرهم — فى اقليم البطانة تنظر إلى الاستقرار والعمل فى الانتاج الزراعى نظرة استعلاء ، وتفضل عنها حياة البداوة وممارسة الترحال مع قطعانهم على إمتداد هذه المنطقة . ولم يحدث تغير ملموس فى أسلوب حياتهم القديمة التى عاشها أجدادهم وآباؤهم من قبل . ولو أنه بدأ فى السنوات الأخيرة

---

(١) المجلس التنفيذى لمديرية كسلا (١٩٧٧) ، مشاريع تطوير البجة ، ص ٢

(٢) من أشهرهذاأحد رجال قبيلة الهدندوه وهو (على بيتاى) الذى ينشر أفكاره التطورية بين أبناء البجه عامة والهدندوه بوجه خاص ، وذلك من خلال مدارسه وتنظيماته الموزعة فى منعنقة دلتا القاش وغيرها من قرى الهدندوه .

فى عمليات توطينية لبعض قبائل الشكرية فى إحدى مراحل مشروع خشم القربة الزراعى فى شرق البطانة وفى منطقة الزراعة المطرية فى الجنوب ، ولكن هذه العمليات تم جميعها فى نطاق محدود .

وقد كان من ضمن نتائج عدم إقبال الشكرية على العمل الزراعى ، أن دخلت عناصر سكانية مهاجرة من غرب إفريقيا (الفلاتة) منذ أخر القرن الماضى ، وهى تمثل القوة العاملة الأساسية فى منطقة الزراعة المطرية فى جنوب البطانة . وتمثل قبائل غرب إفريقية هذه أكثر المجموعات السكانية إنخفاضا فى المستوى الاجتماعى ، وتنتشر بينهم كل سمات الجهل والفقر والأمراض .

هذا بالإضافة إلى أن الهجرات الحديثة فى شرق السودان ، والتى تتمثل فى اللاجئين الاريتريين الذين تم توطينهم فى جنوب البطانة ، يعتبر أفرادها من أبسط المزارعين الفقراء ولا يملكون الخبرة فى العمل والإنتاج الزراعى .

ويلاحظ على سكان شرق السودان بوجه عام أنهم يتميزون بالتخلف الإجتماعى والحضارى ، وتتسم حياتهم بالكسل وعدم الطموح . وقد كان من نتائج ذلك صورة الاستغلال البدائى والمتخلف للموارد والإمكانيات الطبيعية والاقتصادية فى معظم أجزاء السودان .

ملحق (١)

جدول (أ)

تطور عدد المدارس الابتدائية فى شرقى السودان

(١٩٦٦ — ١٩٧٢)

السنة	عدد المدارس الابتدائية للبنين	عدد المدارس الابتدائية للبنات	مجموع عدد المدارس
١٩٦٦ / ٦٧	١١٩	٥١	١٧٠
١٩٦٧ / ٦٨	١٢٧	٥٥	١٨٢
١٩٦٨ / ٦٩	١٣٣	٦١	١٩٤
١٩٦٩ / ٧٠	١٧٠	٨٣	٢٥٣
١٩٧٠ / ٧١	٣٠٠	١٣٥	٤٣٥
١٩٧١ / ٧٢	٣٠١	١٣٧	٤٣٨

جدول (ب)

بيانات الدراسة الميدانية عن النشاط الاقتصادى

القرية	عدد أفراد الأسرة	النشاط الاقتصادى					
		مزارع	تاجر	موظف	ربة منزل	طالب	بلاعمل	مهن أخرى
محمد قول	١٠٥	—	٣	—	٢٨	١٢	٣٨	٢٤
جبيت المعادن	٢١٢	١	—	—	٤٦	١٥	١٠٤	٤٦
قرورة	٩٨٠	٩٩	٣١	٦	١٦٦	١٨٦	٤٦٣	٣٩
سنكات	٢٥٩	١	٤	—	٥١	٢١	١٢٢	٦٠
وقر	٥١٦	٧٨	١٦	١٣	٩٧	١٥٩	١٠٩	٤٤
قرية الحلنقة	٥٨	٨	٣	٦	١٨	١٥	١	٧
القرية (١٣) (خشم القربة	١٤٤	١٦	٣	٣	٣٢	٥٠	٣٣	٧
القريشة	٣٧٨	٥٤	—	—	٧٥	١٠٣	١٤١	٥

ملحق (٢٥)

النسب المئوية لمستويات التعليم ومستوى الدخول الاقتصادية (١) *

القرية	نسب مستويات التعليم					دخل الأسرة السنوى (جنيه سودانى)
	أمى	خلوة	إبتدائى	ثانوى عام	ثانوى عالى	
محمد قول	٧٧ ٪	٥ ٪	١٨ ٪	—	—	١٠٨
جبيت المعادن	٩٣	١	٦	—	—	٨٦
قرورة	٦٥	١٨	١٦	١	—	١١٨
سنكات	٨٨	٣	٧	٢	—	٨٨
وقر	٤٦	١٩	٢٥	٧	٣	١٧٧
قرية الحآنقة	٣١	١٦	٣	٩	٦	٢٨٣
القرية (١٣)	٤٦	—	٤٤	٨	٢	١٨٨
خشم القربة القريشه	٥٣	٩	٣٧	١	—	٢٧١
المتوسطات العامة	٦٢,٤٪	٨,٩٪	٢٣,٩٪	٣,٥٪	١,٤ ٪	١٦٥

* بيانات الباحث الميدانية فى شرق السودان عام ١٩٧٢ .

المراجع والمصـــادر

- صلاح الدين الشامى (١٩٥٦) ، التوجيه البحرى للسودان — أثره على طرق التجارة والمواصلات ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة

- عبد العزيز كامل (١٩٥٧) ، دلتا القاش — دراسة إقليمية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة .

- عبد العزيز كامل (١٩٧٢) ، دراسات فى الجغرافية البشرية للسودان ، دار المعارف ، القاهرة .

- محمد عوض محمد (١٩٥١) ، السودان الشمالى — سكانه وقبائله ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

- محمد صالح ضرار (١٩٦٥) ، تاريخ السودان — البحر الأحمر — اقليم البجه ، مكتبة الحياة ، بيروت .

- شريف محمد شريف (١٩٦٦) ، « توطن العناصر الافريقية الغربية فى السودان » ، حوليات كلية الأداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع والعشرين .

- شريف محمد شريف (١٩٧٢) ، « التحركات السكانية ومناطق الاستقطاب فى السودان » ، مؤتمر الانسان والبيئة والتنمية ، الخرطوم .

- مصطفى محمد سعد (١٩٥٩) ، « البجه والعرب فى العصور الوسطى » ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة .

- زين عبد المقصود (١٩٧٠) ، اقليم البطانة — دراسة فى أثر الكيان

الطبيعى والبشرى فى استخدام الأرض ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة .

— نعوم شقير (١٩٦٧) ، جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت .

— بيانات إحصائية حكومية : —

وزارة التخطيط — الخرطوم (١٩٧٠) ، العرض الاقتصادى .

رئاسة تعليم مديرية كسلا .

مكتب حكيمباشى مديرية كسلا .

المجلس التنفيذى لمديرية كسلا .

— Barbour, K. m. (1961), The Republic of The Sudan — A Regional geography, London.

— Lebon, J.G. (1965), Land use in The Sudan, London.

— Paul, A. (1954), A History of the Beja Tribes of The Sudan, London.

— Owen, T.H. (1937), «The Hadendowa», PP. 183 - 208, SNR, Vol. XX.

— Dept. Statistics — Khartoum (1970), Household Sample Survey in the Sudan 1967/68

* * *